

مستويات التكافؤ في ترجمة الأمثال⁽¹⁾

شافية حمداش آيت واعراب -أستاذة مساعدة قسم أ-

معهد الترجمة -جامعة الجزائر 2-

حي العناصر 2، عمارة 11، رقم 7

القبّة، الجزائر العاصمة

chafiah@hotmail.fr

المُلخَص:

تتناول في هذا المقال واحدة من الاستراتيجيات المقترحة لترجمة الأمثال، وهي استراتيجية جون كلود أنسكومبر (Jean-Claude Anscombre) التي تعتمد على البحث عن التكافؤ على سبعة مستويات، يتعلّق بعضها بالبنية السطحية للمثل وخصائصه الشكلية، وبعضها الآخر بوظيفة المثل في نصّ الخطاب وخصائصه الدلالية. ونقوم بتطبيق هذه الاستراتيجيّة، بصفة خاصّة، على نماذج من الأمثال الشعبيّة الجزائرية والأمثال العربيّة الفصيحة لتحديد إمكانيّة تطبيقها وحدود استعمالها بالنسبة للغات التي تنتمي إلى عائلات لغويّة مختلفة، وتأثير الاختلافات الثقافيّة في مدى نجاحها.

الكلمات المفتاحية: الأمثال – استراتيجيات الترجمة – التكافؤ – علم دراسة البريميّات – جون كلود أنسكومبر.

Résumé :

Le présent article traite de l'une des stratégies proposées pour traduire les proverbes, à savoir la stratégie de **Jean-Claude Anscombre**, basée sur la recherche des équivalences sur sept niveaux, certains liés à la structure de surface du proverbe et ses caractéristiques formelles, d'autres à sa fonction dans le discours et ses caractéristiques sémantiques. Cette stratégie est illustrée, en particulier, par des proverbes populaires algériens et des proverbes arabes classiques afin de déterminer les possibilités et les limites de son application sur les proverbes

⁽¹⁾ يتدرج هذا المقال في إطار الرسالة المقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الترجمة بمعهد الترجمة لجامعة الجزائر 2.

des langues appartenant à des familles linguistiques différentes, ainsi que l'impact des divergences culturelles sur son efficacité.

Mots-clés : Proverbes – stratégies de traduction – équivalence – parémiologie – Jean-Claude Anscombre.

المقدمة:

نُطرح ترجمة الأمثال إشكالية حقيقية من منظور علم الترجمة، ذلك أن ترجمة المثل لا يمكن أن نكتفي بفهم معناه ثم إعادة صياغة هذا المعنى في اللغة الهدف، فالمثل شكل ومضمون، والقيمة المثلية تتجسد أساساً في الخصائص الشكلية للمثل. ومن ثم فإن التقابل بين الأمثال يعتمد على إيجاد المثل في اللغة الهدف الذي يتفق والمثل الأصلي على مستوى الشكل من جهة، وعلى مستويي المعنى والتداول من جهة أخرى.

وفي الوقت الذي تشهد فيه دراسة البريميّات عامّة والأمثال على وجه الخصوص اهتماماً متزايداً في الدراسات المقارنة الأجنبية، لم تحظ الأمثال العربية بقسطٍ وافرٍ من العناية في الدراسات الترجّمية، على الرغم من أن ترجمتها تطرح إشكالية مزدوجة، فالأمثال العربية، ولا سيما الشعبية منها، تحمل شحنة ثقافية كبيرة بحكم ارتباطها الوثيق بالبيئة التي نشأت فيها، وتستعمل صوراً مختلفة للتعبير عن الحقائق العامة. وعليه فإن ترجمة الأمثال بين اللغات التي لا تنتمي إلى العائلة اللغوية نفسها تفتح باب النقاش فيما يخص استراتيجيات ترجمة الأمثال.

وبناءً على ما سبق، فإننا نتناول في هذا المقال إحدى هذه الاستراتيجيات وهي استراتيجية جون كلود أنسكومبر (Jean-Claude Anscombre) التي تقوم على تحديد مستويات للتكافؤ بين الأمثال على مستويي الشكل والمعنى، والتي نقوم بتطبيقها على نماذج من الأمثال الشعبية الجزائرية والأمثال العربية الفصيحة للتأكد من نجاعتها فيما يتعلق بترجمة الأمثال بين اللغات التي تنتمي إلى عائلات مختلفة.

1. الخصائص الشكلية للمثل وأهميتها في الترجمة:

ينتمي المثل إلى مجموعة فرعية من الأشكال الحكيمية وهي مجموعة الجمل البريميّة (Anscombre, 2009 : 11-35)، ونقول عن قول أو جملة ما أنها مثل إذا كانت جملة مستقلة صغرى لا تتجزأ، تُعبّر عن حقيقة عامة صالحة لكل زمان، وترتبط بمُتكلّم جماعي مجهول (ON-locuteur) من قبيل (كما يُقال) أو (Comme on dit)، كما تتميز ببنية إيقاعية ظاهرة أو باطنة وباستعمال المجاز.

وتتميّز الأمثال بصيغة نموذجية معروفة (88 : Schapira, 2000)، وهي التي تسمح للقارئ بالتعرف على المثل في نصّ الخطاب، هذا يعني أنّ الأمثال تنقسم مجموعة من العوامل الثابتة على مستوى الشكل، مثل الإيجاز والإيقاع والبنية النثائية واستعمال بعض الصيغ المهجورة، علاوة على عوامل أخرى متعلقة بالمضمون مثل الطابع الاصطلاحيّ والبعد العالميّ والإحالة إلى حقائق عامّة صالحة لكلّ زمان. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نفترض أنّ ترجمة الأمثال ينبغي أن تقوم على مقابلة العوامل الثابتة في اللغة الأصل بعوامل ثابتة في اللغة الهدف. ويعتقد فابريس أنطوان (Fabrice Antoine) بصحة هذه الفرضية، فهو يرى أنّ قابليّة المثل للترجمة تُقاس على مستويين اثنين (75-76 : 2000): مستوى الدلالة حيث يقترح المترجم ترجمة تُقلد المثل الأصليّ في طابعه العالميّ والمجازيّ والتلميحّي، ومستوى الشكل حيث تُقلد هذه الترجمة المثل الأصليّ في خاصيّة الإيجاز والإيقاع والطابع الحكميّ.

وتوازي فكرة تقليد الترجمة للمثل الأصليّ على مستوى الدلالة والشكل فكرة أنسكومبر الذي يرى أنّ الأشكال الحكميّة، بما فيها الأمثال، تتميّز بكونها تأتي على مستويين اثنين (12 : 2009): مستوى المعنى الشكليّ (Sens formulaire)، وهو يوافق البنية السطحيّة للمثل أي كلّ ما يتعلّق بصيغته النموذجيّة المتداولة، ومستوى المعنى المركّب (Sens construit)، وهو الذي يُحدّد معنى المثل الحقيقيّ أي ما يتعلّق بخصائصه الدلاليّة ووظيفته في نصّ الخطاب. وعليه فإنّ ترجمة الأمثال بالنسبة لأنسكومبر تعتمد على إيجاد مقابل ثابت على المستوى الشكليّ (Invariant formulaire)، بالإضافة إلى مقابل ثابت على المستوى الدلاليّ والتداوليّ (Invariant sémantico-pragmatique)، وصعوبة ترجمة بعض الأمثال تكمن في التوفيق بين هذين المستويين اللذين لا ينفصل الواحد منهما عن الآخر.

والبحث عن التشابه على مستوى الشكل هو أوّل ما يتبادر إلى ذهن المترجم، خاصّة إذا كان الأمر يتعلّق باللغات التي تنتمي إلى العائلة نفسها، مثل اللغات الهنديّة الأوروبيّة التي تعتمد على اللغة اللاتينيّة كخلفيّة مشتركة، أو بالنسبة لترجمة مثل شعبيّ جزائريّ إلى اللغة العربيّة الفصحى، بالاعتماد على التشابه الموجود بين البنى التركيبيّة أو الألفاظ نحو: « خَلَطَ رُوحَكَ مَعَ النُّخَالَةِ يَنْقَبُكَ الْجَاغُ » مقابل « مَنْ صَيَّرَ نَفْسَهُ نُخَالَةً بَحَثَتْهَا الدَّجَاغُ »، أو « كُلُّ خَنْفُوسٍ عِنْدَ أُمِّهِ غَزَالٌ » مقابل « الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ ». «

غير أنّ هذا التشابه الشكليّ قد لا يتعدّى مستوى البنية السطحيّة، وبالخصوص بين اللغات التي تنتمي إلى عائلات مختلفة، فقد يقارب المترجم بين مثليّن لتشابه ألفاظهما أو صورتيهما، غير أنّ ذلك يؤدي إلى ضياع جزء من المعنى أو حتّى إلى اختلافه، فعلى سبيل المثال، قد يُقابل المترجم المثل الشعبيّ

الجزائري « الْقَرْدُ الشَّارِفُ مَا يَتَعَلَّمُ شَطِيطٌ » بالمَثَلِ الفرنسيِّ القائل « Ce n'est pas à un vieux singe qu'on apprend à faire la grimace »، اعتمادًا على التَّكَافُؤِ الْجُزْئِيِّ الْمَوْجُودِ بَيْنَهُمَا. غير أنَّ المَثَلَيْنِ يَخْتَلِفَانِ فِي الْمَعْنَى، فالمَثَلُ الشَّعْبِيُّ الْجَزَائِرِيُّ يَسْتَعْمَلُ صُورَةَ الْقَرْدِ الْمُسَنَّ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ نُعَلِّمَهُ الرِّقَصَ لِأَنَّهُ لَمْ يَعِدْ يَقْوَى عَلَى أَدَاءِ الْحَرَكَاتِ الَّتِي كَانَ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نُعَلِّمَهُ إِيَّاهَا عِنْدَمَا كَانَ صَغِيرًا، وبالتالي فَإِنَّهُ يُضْرَبُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الشَّخْصَ الْمُتَقَدِّمَ فِي السَّنِّ لَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِمَا يَقُومُ بِهِ الشَّابُّ بِكُلِّ سَهُولَةٍ. أمَّا المَثَلُ الفرنسيُّ فَهُوَ يَسْتَعْمَلُ صُورَةَ الْقَرْدِ الْمُسَنَّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ لِمَنْ يُعَلِّمُهُ كَيْفَ يَلْوِي قَسَمَاتِ وَجْهِهِ لِأَنَّهُ تَعَلَّمَ ذَلِكَ مُنْذُ أَنْ كَانَ صَغِيرًا، وبالتالي فَإِنَّهُ يُضْرَبُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعَلِّمَ مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ طَوِيلَةٌ فِي مَجَالٍ مَا شَيْئًا جَدِيدًا فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ.

ولذلك يَرَى أُنْسْكَومْبِرُ أَنَّ إِشْكَالِيَّةَ تَرْجُمَةِ الْأَمْثَالِ لَا تَكْمُنُ فِي الْبَحْثِ عَنِ التَّشَابُهِ بَيْنَهُمَا، وَإِنَّمَا تَكْمُنُ فِي تَحْدِيدِ مَا هِيَ هَذَا التَّشَابُهِ الَّذِي لَا يَنْحَصِرُ فِي الْبُنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ لِلْمَثَلِ فَحَسْبُ، فإِيجَادُ الْمُقَابِلِ الثَّابِتِ عَلَى الْمُسْتَوَى الشَّكْلِيِّ يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَرِنَ بِالْبَحْثِ عَنْ مُكَافَأَاتٍ عَلَى مَسْتَوِيَّاتٍ أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِخُصَائِصِ الْأَمْثَالِ وَظَيْفَتِهَا.

2. مستويات التَّكَافُؤِ فِي تَرْجُمَةِ الْأَمْثَالِ:

تَقُومُ اسْتِرَاطِيஜِيَّةُ أُنْسْكَومْبِرِ فِي تَرْجُمَةِ الْمَثَلِ تَرْجُمَةً سَلِيمَةً عَلَى مُرَاعَاةِ مِيعَارِ التَّكَافُؤِ عَلَى سَبْعَةِ مَسْتَوِيَّاتٍ (24-32: 2009)، يَسْتَنْدُ بَعْضُهَا إِلَى فِكْرَةِ التَّشَابُهِ عَلَى مَسْتَوَى الْمَعْنَى الشَّكْلِيِّ لِلْمَثَلِ أَيْ بَنِيَّتِهِ السَّطْحِيَّةِ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ إِلَى فِكْرَةِ التَّشَابُهِ عَلَى مَسْتَوَى الْمَعْنَى الْمُرَكَّبِ أَيْ وَظِيفَةِ الْمَثَلِ فِي نَصِّ الْخُطَابِ.

2. 1. التَّكَافُؤُ عَلَى مَسْتَوَى الْفِئَاتِ: (L'équivalence catégorielle)

يَكُونُ التَّكَافُؤُ عَلَى هَذَا الْمَسْتَوَى بِمُقَابَلَةِ الْأَشْكَالِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَقًّا لِفَنَاتِهَا، أَيْ أَنْ نُقَابِلَ الْمَثَلِ بِالْمَثَلِ، وَالْقَوْلَ الْمَأْثُورَ بِالْقَوْلِ الْمَأْثُورِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، ذَلِكَ أَنَّ لِكُلِّ فَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْفِئَاتِ وَظِيفَةً مُعَيَّنَةً، فَالْأَمْثَالُ تُعَبِّرُ عَنْ حَقِيقَةٍ عَامَّةٍ وَمُطْلَقَةٍ، فِي حِينِ أَنَّ الْأَقْوَالَ الْمَأْثُورَةَ تُعَبِّرُ عَنْ أَوْضَاعٍ وَحَالَاتٍ مُرْتَبِطَةٍ بِوَاقِعٍ مَلْمُوسٍ، فَالْأَقْوَالَ الْمَأْثُورَةَ الْجَزَائِرِيَّةَ نَحْوُ « إِذَا رَوَاتُ فِي يَنَّايرِ، نَقَّصُ الْخُمَايِرَ وَزَيْدُ فِي الْمَطَايِرِ » وَ« إِذَا سَقَاهَا نَيْسَانُ، يَزُورُ الْعَامَ بِلَا نُقْصَانٍ »، هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مَلَاظِمَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ الطَّقْسِ وَالزَّرَاعَةِ. وَيَقُولُ أُنْسْكَومْبِرُ فِي هَذَا الشَّأْنِ مَا يَلِي:

« (...) dans la mesure où le lien entre le sens formulaire (lisible sur la structure de surface) et le sens construit n'est pas arbitraire, satisfaire l'équivalence catégorielle est vraisemblablement une façon de respecter les deux invariants » (Anscombre in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :25).

أي بما أنّ العلاقة التي تربط بين المعنى الشكليّ الذي يُمكن قراءته على مستوى البنية السطحيّة، والمعنى المركّب ليست علاقةً اعتباطيّة، فإنّ البحث عن التّكافؤ على مستوى الفئات هو على الأرجح طريقةٌ لاحترام كلا المُقابلين الثّابتين (ترجمتنا). هذا يعني أنّ التّكافؤ على مستوى الفئات يضمن احترام المُقابل الثّابت على المستوى الشكليّ والمُقابل الثّابت على المستوى الدلاليّ والتّداوليّ.

غير أنّ المُترجم قد لا يجد مثلاً يفي بغرض التّكافؤ، فيُقابل ما هو مثّل في اللّغة الأصل بما هو قولٌ مأثورٌ أو حكمَةٌ في اللّغة الهدف. هذا ما نجده في مُصنّف قادة بوتارن ثنائيّ اللّغة للأمثال والأقوال المأثورة الشعبيّة الجزائريّة (Boutarène, 1982 : 94)، عندما يُقابل المثل الشعبيّ الجزائريّ « أَلّلي تَكْبَرُ بيّه لا تَكْبَرُ غَليه » بِحكمةٍ في اللّغة الفرنسيّة وهي (Qui t'a fait roi)، الأمر الذي يجعلنا ننتقل من مستوى الحقيقة العامّة ذات البعد العالميّ إلى مستوى القاعدة الأخلاقيّة التي تُعبّر عن وضعيّة مَلْموسة، علاوةً على فقدان القيمة المثلّيّة المُجسّدة في البنية الثنائيّة للمثل الشعبيّ الجزائريّ وإيقاعه الخارجيّ.

2.2. التّكافؤ على مستوى المُفردات: (L'équivalence lexicologique)

يسعى المُترجم على هذا المستوى إلى مُقابلة مثّل ذي صيغةٍ ثابتةٍ في اللّغة الأصل بِمثّل ذي صيغةٍ ثابتةٍ في اللّغة الهدف، بِحكم أنّ بعض الأمثال مُتداولةٌ بصيغةٍ واحدةٍ في حين يُتداول بعضها الآخر بصيغٍ مُختلفة، إذ يقول أنسكومبر في هذا الشّأن ما يلي:

« Un traducteur peut donc parfaitement estimer qu'une traduction soignée doit fournir pour une phrase sentencieuse figée une phrase également figée, et conserver ainsi une contrainte analogue au niveau lexicologique » (Anscombre in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :27).

أي يُمكن للمُترجم إذا أن يعتبر أنّ الحصول على ترجمةٍ جيّدةٍ يجب أن يتمّ بِمُقابلة جُملةٍ حكميّةٍ جامدةٍ بِجُملةٍ تكون هي الأخرى جامدة، فيُحافظ بذلك على التّشابه المُفروض وُجوده على مستوى المُفردات (ترجمتنا)،

إذ نلاحظ على سبيل المثال، أن المثل الشعبي الجزائري القائل « عَائِدْ وَلَا تَحْسَدْ⁽¹⁾ » أو « بَاتْ بِلَا لَحْمٍ، تَصْبَحْ بِلَا دِينَ⁽²⁾ » يُذكران دوماً بالصيغة ذاتها في مُصنّفات الأمثال الشعبية الجزائرية، في حين أن المثل الشعبي الجزائري القائل « جُوزْ عَلَى الْوَادِ الْهَرْهَارْ وَمَا تُجُوزْشْ عَلَى الْوَادِ السَّاكْتْ » مذكور بصيغ مختلفة: « جُوزْ الْوَادِي الْكَرْكَارْ وَمَا تُجُوزْشْ الْوَادِي السَّاكْتْ⁽¹⁾ »، « جُوزْ عَلَى الْوَادِ الْهَرْهَارْ لَا تُجُوزْ عَلَى الْوَادِ الصَّامِتْ »، « أَتَعْدَى عَلَى وَادِ هَرْهَارْ وَلَا تَتَعْدَى عَلَى وَادِ سَاكْتْ⁽²⁾ »، « أُغْفَبْ عَلَى وَادِ يَجْرَجْرْ وَمَا تَغْفُبْشْ عَلَى وَادِ سَاكْتْ⁽³⁾ »، وهذا راجع إلى الاختلافات الجهوية الموجودة بين المناطق التي يُتداول فيها هذا المثل، فالجمود ليس سمة متأصلة في الأمثال، ومن الممكن أن يعرف المثل أكثر من صيغة واحدة قبل أن يستقر في صيغته المعروفة والمتداولة، خاصة وأن العديد من الأمثال ذات الصيغ المهجورة قد تعرّضت إلى التبسيط في تراكيبها وفق ما طرأ على اللغات من تغييرات على مرور الزمن، علاوة على التغييرات الناتجة عن اختلاف اللهجات والمناطق التي يُتداول فيها المثل، مثلما هو الحال في المثل السابق.

وعليه فإن احتمال وجود أمثال متكافئة في المعنى بين لغتين والتي تكون متداولة بصيغ مختلفة واردة جداً، وبالتالي فإن الحالات التي لا يتحقق فيها التكافؤ على مستوى المفردات تطرح مشكلاً آخر يتمثل في اختيار الصيغة الأنسب عندما يكون للمثل المكافئ أكثر من صيغة واحدة. هذا ما جعل أنسكومبر يربط التكافؤ على مستوى المفردات بمستويين آخرين يُساعدان المترجم في اختيار المثل ذي الصيغة الأنسب في اللغة الهدف. ويتعلق الأمر بكل من التكافؤ على مستوى الإحصائيات والتكافؤ على مستوى الأسلوب.

2.3. التكافؤ على مستوى الإحصائيات: (L'équivalence statistique)

يقوم هذا التكافؤ على أساس التشابه في درجة الشبوع والتداول، إذ يسعى المترجم إلى مقابلة مثل شائع في اللغة الأصل بمثل شائع في اللغة الهدف، ذلك أن المثل في اللغة الأصل قد يكون أكثر شيوعاً من المثل الذي يضعه المترجم مُقابلاً له في اللغة الهدف والعكس بالعكس، ويتعسر بذلك على القارئ فهم المعنى المراد، في حين أن القارئ في اللغة الأصل يفهم هذا المعنى بسهولة. ويقول أنسكومبر في هذا الشأن ما يلي:

(1) (جعكور، 2008: 169)، (Kheddouci، 2015 : 109)، (Boutarène، 1982 : 109)، (Ben Cheneb، 2013 : 389).

(2) (Kheddouci، idid : 38)، (Boutarène، ibid : 220)، (Ben Cheneb، ibid : 149).

(1) (جعكور، 2008: 86).

(2) كلا المثلين (35 : 1982)، (Boutarène).

(3) (Kheddouci، 2002 : 17).

« Chaque langue ayant son propre génie, ce qui est courant dans l'une peut être rare voire inexistant dans l'autre, et vice-versa » (Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :27).

أي بما أن لكل لغة عبقريتها الخاصة، فإن ما هو شائع في لغة قد يكون نادرًا في لغة أخرى أو غير موجودٍ بالمرّة والعكس بالعكس (ترجمتنا). ونجد في قاموس (Le Robert) للأمثال والأقوال المأثورة مثالًا يجسد هذا المستوى، إذ يذكر المثل العربي « كُلُّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يُرَشَّحٌ » مُترجمًا إلى اللغة الفرنسية في قسم أمثال العالم العربيّ، ويُشير إلينا بالرجوع إلى مثلٍ من قسم الأمثال الفرنسية يكافئ هذا المثل العربيّ في المعنى:

« 1092 Il ne sort du sac que ce qu'il y a.

var. ancienne : Il ne peut issir [sortir] du vaisseau [récipient] fors ce qu'on y a mis. Ancien proverbe, XIII^e s. (Le Robert, 2015 : 54).

ويبين لنا هذا النموذج أن للمثل الفرنسي صيغتان، صيغة أولى شائعة ومتداولة، وصيغة ثانية قديمة سقطت من الاستعمال الحالي، وبالاستناد إلى التكافؤ على مستوى الاحصائيات، يختار المترجم الصيغة الأولى بالموازاة مع درجة شيوع المثل العربيّ، على الرغم من أن الصيغة الثانية تُحقّق التكافؤ على مستوى المفردات وتُستعمل الصورة ذاتها للتعبير عن المعنى.

2.4. التكافؤ على مستوى الأسلوب: (L'équivalence stylistique)

ينبغي للمترجم على هذا المستوى أن يُراعي أسلوب المثل الأصليّ والذي يقوم بحسب أنسكومبر على محورين اثنين:

« (...) un premier concerne le niveau de la langue. (...) Le second axe de l'équivalence stylistique concerne les variantes régionales » (Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :28).

أي إن هذا التكافؤ يتمثل في تقديم مكافئ يحترم مستوى الأسلوب الذي يتّضح على محورين اثنين: يتعلّق أولهما بمستويات اللغة، أمّا المحور الثاني للتكافؤ على مستوى الأسلوب فهو يتعلّق بالاختلافات الجهوية (ترجمتنا).

يراعي المترجم إذن مستويات اللغة، فيحاول مقابلة المثل الشعبي بمثل شعبي أو مثل ذي أسلوب لغوي بسيط في اللغة الهدف، والمثل الفصيح بمثل فصيح أو مثل ذي أسلوب أدبي. غير أن كل لغة تُحدد مستوياتها داخل نظامها الخاص، إذ نلاحظ في المثل السابق أن مستوى اللغة المستعمل في المثل العربي « كل إناء بما فيه يُرشح » لا يطابق مستوى المثل الفرنسي « Il ne sort du sac que ce qu'il y a »، ذلك أن مستوى هذا الأخير عادي بالمقارنة مع مستوى المثل العربي الأدبي. وبالتالي لا يجد المترجم بالضرورة أمثالا متكافئة على مستوى الأسلوب بين لغة وأخرى.

كما يُراعي المترجم الاختلافات التي تظهر في صيغ بعض الأمثال المرتبطة بمنطقة جغرافية معينة، ويتعلق الأمر هنا بالبيئة التي نشأ فيها المثل، سواء أكانت بيئة مدنية أو ريفية أو متعلقة بمنطقة جبلية أو صحراوية وما إلى ذلك، لأن استعمال الأمثال ذات الطابع الجهوي له عرض معين في نص الخطاب، فاستعمال المثل الشعبي الجزائري « بدل المراح⁽¹⁾ تستراح »، في رواية تدور أحداثها في منطقة ريفية، يُعطي النص والشخصيات مصداقية أكبر، وعلى الرغم من إمكانية مقابلة هذا المثل بالمثلين الفرنسيين « Changement d'herbage réjouit les veaux » و« L'ennui naquit un jour d'uniformité⁽²⁾ »، اللذان يُعبران عن المعنى ذاته، أي معنى التغيير يقضي على الملل والرتابة، فإن احترام الاختلافات الجهوية يجعلنا نُفضل المثل الفرنسي الأول للحفاظ على الصبغة الريفية للمثل الأصلي التي لا نجدها في المثل الثاني من جهة، وللتوفيق بين مستويات اللغة باختيار الأسلوب اللغوي الأقل تكلفاً من جهة أخرى.

2.5. التكافؤ على مستوى الإجراءات المستعملة: (L'équivalence procédurale)

يكون التكافؤ على هذا المستوى بين الإجراءات التي تستعملها كل لغة لصياغة معنى مثل معين، إذ يقول أنسكومبر في هذا الشأن ما يلي:

« Il s'agit de l'idée que ce sens soit atteint si possible non seulement par un procédé de même type dans les deux langues, mais par un procédé relevant du même champ »
(Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :29).

أي إن الأمر يتعلق بفكرة إيصال هذا المعنى إن أمكن، عن طريق استعمال إجراء يكون في الوقت ذاته من النوع نفسه في اللغتين، وينتمي إلى الحقل نفسه (ترجمتنا)، هذا يعني أن المترجم يبحث عن أمثال مكافئة

(1) يُقصد بكلمة « المراح » هنا الاصطبل.

(2) كلا المثلين (Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :29).

في اللغة الهدف تستعمل إجراء أو طريقة من النوع نفسه للتعبير عن المعنى، كأن نقابل الاستعارة باستعارة مشابهة شريطة أن تكون هتين الاستعارتين تعملان على مستوٍ مماثل، فإذا كانت الاستعارة في المثل الأصلي تستعمل صورة حيوانٍ ما، نحو « الكلبُ كلبٌ ولو كان يلبسُ قلادة ذهبٌ »، فإن المترجم يبحث في اللغة الهدف عن مثلٍ يستعمل استعارةً حيوانيةً أيضًا، نحو « Lavez chien, peignez chien, toutefois n'est chien que chien ».

غير أن التكافؤ على هذا المستوى يطرح مُشكل الأمثال الثقافية، والتي تطرق إليها بيتر نيومارك (Peter Newmark) عند تناوله ترجمة الاستعارة (109; 108 : Newmark, 1988)، إذ يُميّز نيومارك بين نوعين من الأمثال: الأمثال الثقافية (Cultural proverbs) وهي الأمثال المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بثقافة مجتمع ما، والأمثال غير الثقافية (Non-cultural proverbs) وهي الأمثال المشتركة بين الشعوب لكونها تُعبر عن حقيقة عامة بصفة مطلقة وشاملة، ذلك أن استعارات الأمثال الثقافية وثيقة الصلة بالبيئة التي نشأت فيها، فعلى سبيل المثال، فإن كل لغة تميل إلى اختيار الحيوانات الشائعة في ثقافتها والتي تربطها بمفهوم أو وظيفة معينة بحسب رموزها ومعتقداتها، فالمثل الشعبي الجزائري « أَلِّي فِي رَاسِ الْجَمَلِ مَاشِي فِي رَاسِ صَافِقُهُ » يستعمل استعارة حيوانيةً مرتبطة بالبيئة الريفية التي يُداول فيها⁽¹⁾ للتعبير عن معنى اختلاف الرأي. ونجد هذا المثل مُترجمًا إلى اللغة الفرنسية في قاموس (Le Robert) على النحو الآتي:

« 5036 Le chameau a ses idées et le chamequier les siennes. (365) » (Le Robert, 2015 : 365).

وعلى الرغم من وضوح المعنى فإن القارئ الفرنسي قد لا يستحسن هذه الترجمة لأنّ الجمل غريب عن ثقافته، ولذلك يُشار إلينا في هذا القاموس بالرجوع إلى مثلٍ مكافئ من قسم الأمثال الفرنسية:

« 365 Ce que pense l'âne ne pense l'ânier. Prov. Gallica, XV^e s. » (Le Robert, 2015 : 25).

والذي يستعمل استعارة حيوانيةً أكثر شيوعًا في البيئة الريفية الفرنسية وهي استعارة الحمار. وبالتالي فإن إيجاد المكافئات على مستوى الإجراءات المستعملة يتطلب مراعاة الخصائص الثقافية لكل لغة.

2.6. التكافؤ على مستوى الإيقاع: (L'équivalence rythmique)

⁽¹⁾ يُشير محمد بن شنب إلى أن هذا المثل مُداول في منطقة المديّة (95 : Ben Cheneb, 2013).

يُحاول المترجم على هذا المستوى أن يجد في اللغة الهدف مثلاً مكافئاً تتوفر فيه خاصية الإيقاع، ويقول أنسكومبر في هذا الشأن:

« Si le traducteur désire conserver ce petit air authentique que confère la présence d'une structure rythmique, il lui faudra chercher une traduction possédant également une structure rythmique, et conforme aux schémas de la langue-cible » (Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :30).

أي إذا أراد المترجم أن يحافظ على هذه النغمة الأصلية التي تمنحها البنية الإيقاعية للمثل في اللغة الأصل، يجب عليه أن يبحث عن ترجمة تكون هي الأخرى ذات بنية إيقاعية، بما يوافق البنى الإيقاعية الموجودة في اللغة الهدف (ترجمتنا). ونجد هذا التكافؤ بين المثل الشعبي الجزائري « أَلِّي بُغَاهَا فَأَعْ خَلَاهَا فَأَعْ » والمثل الفرنسي (Celui qui tout convoite tout perd)، إذ يحافظ المثل المكافئ على البنية الثنائية التي نجدها في المثل الأصلي والإيقاع الخارجي المتمثل في التشاكل الصوتي عن طريق تكرار المفردات.

ويرى أنسكومبر أن البنى الإيقاعية للأمثال تختلف من لغة إلى أخرى بحسب اختلاف القوالب الإيقاعية التي تتميز بها كل لغة عن غيرها من اللغات (30 : 2005)، ولذلك فإن البنى الإيقاعية الخاصة باللغة الأصل لا تطابق حتماً البنى الإيقاعية الخاصة باللغة الهدف، إذ نلاحظ اختلافاً في البنية الإيقاعية للمثلين « بَدَلْ المَرَاخْ تَسْتَرَاخْ » و« Changement d'herbage réjouit les veaux »، ذلك أن الإيقاع الخارجي للمثل الشعبي الجزائري يتمثل في تكرار المقطع الصوتي /رَاخْ/ في آخر كل مقطع من المثل، في حين أن الإيقاع الخارجي للمثل الفرنسي يتمثل في تكرار المقطع الصوتي /3/ بداخل الكلمات (herbage) (réjouit) (changement). وعلاوة على ذلك، فإن وجود خاصية الإيقاع في المثل المكافئ الذي يؤدي معنى المثل الأصلي ليس أمراً وارداً بالضرورة.

2.7. التكافؤ على مستوى المركب: (L'équivalence syntagmatique)

يعتمد التكافؤ على هذا المستوى على وظيفة المثل في نص الخطاب، فالدور الأساسي للأمثال يتمثل في كونها تضمن سيرورة الخطاب، إذ أن معناها يُعبّر عن مبادئ عامة يستنتجها القارئ دون أن يحتاج إلى توضيح. ويقول أنسكومبر في هذا الشأن ما يلي:

« (...) le rôle fondamental d'une forme sentencieuse et en particulier des proverbes est de servir de garant au déroulement du discours. Les conclusions que nous tirons d'un

état de choses ou les opinions que nous formulons à leur égard s'appuient sur des principes généraux » (Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :31)

أي إنَّ الدَّورَ الأساسيَّ للأشكال الحِكْمِيَّة، والأمثال على وَجْه الخصوص، يَتِمَّتْ في كونها تُضْمَن سِيرورة الخطاب، وكُلُّ ما نَخْلُص إليه مِنْ استنتاجاتٍ استنادًا إلى أوضاع الأشياء، وما نَصوغه عنها مِنْ آراء، يَعتمد على مبادئٍ عامَّة (ترجمتنا)، وما يَقْصِدُه أنسكومبر بالمبادئ العامَّة التي تُعتمد عليها الأمثال في صياغة المعاني التي تُعبِّر عنها، يَتَجَلَّى في المِثَال الآتي:

« ...J'ai enseigné la cuisine française à Juana, ce pour quoi je me suis donnée la peine d'apprendre l'espagnol et maintenant je le parle, un bienfait n'est jamais perdu et ça fait riche quand je donne des ordres... » (C. Rochefort, *Stances à Sophie*, Grasset, 1963, p.116) » (Anscombe in Quitout & Sevilla Muñoz, 2009 :31).

أي "عَلِمْتُ خُوانا الطَّبْخ الفرنسيَّ، الأمر الذي جَعَلَنِي أَتَحَمَّلُ عَناءَ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الإسبانيَّة والتي أَتحدَّثُها اليوم بِطلاقة، مَا ضَاعَ قَطُّ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَ"⁽¹⁾، كما أَنَّ ذلكَ يَجْعَلُنِي أَبْدُو مِنْ الأغنياء عندما أُعْطِيَ الأوامر" (ترجمتنا). نلاحظُ مِنْ خِلالِ هذه الفقرة أَنَّ المُتَكَلِّمة تَتحدَّثُ عن مَعْرِفَتِها بِاللُّغَةِ الإسبانيَّة، والتي بَذَلَتْ جُهْدًا في تَعَلُّمِها بِغرضِ تَعَلِيمِ الطَّبْخ الفرنسيِّ لِخادمتِها، وكأنَّها نَتِيجَةُ قاعِدةٍ عامَّةٍ ذاتِ مَعْنٍ ضَمْنِيٍّ مَفادِهِ أَنَّ « مَنْ يَصْنَعُ مَعْرُوفًا لَا بُدَّ أَنْ يُجَازَى عَلَيْهِ »، وهي تُعبِّرُ عن هذه القاعدة بِطريقةٍ تَلْمِيحيَّةٍ باستعمالِ المِثَالِ الفرنسيِّ، وبالتالي فإنَّ هذا المِثَالِ يَضْمَنُ تَسْلُسُلَ الأفكارِ في هذه الفقرة.

وَيَرى أنسكومبر أَنَّ المِيعَارَ المُعتمد في هذا المستوى هو أصعبُ المعاييرِ استيفاءً وأوثقها صِلَةً بإيجادِ التَّرْجَمَةِ السَّليمة للمِثَالِ، غيرَ أَنَّهُ يَطْرَحُ مُشْكَلاً تَعَدَّدُ تَأْوِيلَاتُ الأمثالِ الذي يَجْعَلُ تَحْدِيدَ مَعْنَى المِثَالِ الدَّقِيقِ أَمْرًا صَعْبًا. وَنَجِدُ في مُصَنَّفِ قَادَةِ بُوْتَارَن نمُودَجًا عن ذلك (147 ; 35 : Boutarène, 1982)، حيثُ يَذْكَرُ المَثَلَيْنِ الشَّعْبِيَيْنِ « أَنَا حَارِسٌ مَطْمُورَتِي مِنْ الأَطْرَافِ وَهِيَ مِنْ الوَسْطِ شَارِبٌ » و« أَحْفَظُنِي مِنْ العُودِ وَأَمَّا الدُّودُ مَا نَدُوْدُ » على أَنَّهُمَا مَثَلانِ مُترادِفانِ في المَعْنَى، ويُقابِلُهُما بِالمِثَالِ الفرنسيِّ القائِلُ، « Dieu, gardez-moi de mes amis quant à mes ennemis je m'en charge ». قد يَبْدُو لَنَا لأوَّلَ وَهَلَةٌ أَنَّ الأمثالِ الثَّلَاثَةَ تُضْرِبُ لِلشَّعْبِ عن المَعْنَى ذاتِها وهو « لَفْتُ انتباهَ المَرءِ إلى مَصْدَرِ الأذى الحَقِيقِيِّ الذي قَدْ يَلْحَقُ بِهِ »، غيرَ أَنَّ تَحْلِيلَ تَسْلُسُلِ الأفكارِ التي تُنتِجُ هذه الأمثالِ الوصولَ إليها يُبَيِّنُ لَنَا وُجُودَ اخْتِلَافٍ بَيْنَ المَثَلَيْنِ

(1) قابِلْنَا المِثَالِ الفرنسيِّ بِالمِثَالِ العَرَبِيِّ المُستمدِّ مِنْ عَجَزِ البَيْتِ الشَّعْرِيِّ « أَزْرَعُ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ * مَا ضَاعَ قَطُّ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا » (خلايلي، 1998: 329).

الشعبيين، فالأول يستعمل صورة الإنسان الذي يطمر غلته في حفرة تحت الأرض ويظل يراقبها من كل جوانبها حتى لا يتسرب الماء إليها ويفسد ما خزّنه، وهو لا يدرك أن الماء يتسرب إليها من وسطها، ويضرب للدلالة على أن الضرر قد يلحق بالإنسان من الأشخاص المقربين إليه لا من الغرباء. وهذا المعنى يقترب من معنى المثل الفرنسي الذي يضرب للدلالة على أن الصديق قد يؤذي المرء أكثر مما يؤذيه عدوه، وبالتالي فإن المثّلين متكافئان على مستوى المركّب، باعتبار أنهما يُحيلان إلى الفكرة ذاتها، وهي أن مصدر الأذى أو الضرر الذي يُصيب الإنسان قد يكون أصدقائه أو الأشخاص المقربين إليه، ويُؤديان بذلك الوظيفة نفسها في نص الخطاب.

أما المثل الشعبي الثاني فهو يستعمل صورة الصوف الذي يطلب ممن يجمعه ويخزّنه أن يحفظه من شظايا الخشب الصغيرة التي قد تعلق به وتُنقص من جودته، لا من الدود لأن الصوف لا يتعفن. ونلاحظ من خلال هذه الصورة أن الأذى أو الضرر في هذه الحالة، يلحق بالإنسان من الخارج لا من الداخل، فشظايا الخشب هي بمثابة العدو بالنسبة للصوف، وما يحتاج إليه المرء هنا هو أن يحفظ من الأذى الذي قد يسببه له أعدائه أو الغرباء، وبالتالي فإن المثل يضرب للدلالة على أن الأذى قد يأتي من الغرباء لا من الأشخاص المقربين، وعليه فإن هذا المثل الشعبي لا يكافئ المثل الفرنسي على مستوى المركّب ولا يُرادف المثل الشعبي الأول في المعنى، بل إنهما مثلان متضادان.

الخاتمة:

تتركز مستويات التكافؤ في ترجمة الأمثال لدى جون كلود أنسكومبر على عوامل المعنى والشكل علاوة على درجة الشبوع والتداول ووظيفة المثل في نص الخطاب. وترتبط بعض هذه المستويات فيما بينها في حين يكمل بعضها الآخر، ومن الواضح أن المترجم لا يمكن أن يستوفي كل هذه المستويات، فالبعض منها يتوخى الكمال ومن الصعب جدًا تحقيقها جميعًا في ترجمة واحدة.

ولذلك ينبغي النظر إلى درجة أهمية كل مستوى ومدى تأثيره، فالتكافؤ على مستوى الفئات عامل مهمّ يضمن إيجاد المقابل الأقرب على مستوى الوظيفة والبنية السطحية، وعلى الرغم من بساطته فهو لا

يتبادر إلى ذهن المترجم تلقائياً. واحترام التكافؤ على مستوى المفردات يتطلب معرفة معمقة بأمثال اللغتين وبحثاً مطوّلاً عن صيغها، ثم إن ترجمة مثل ذي صيغة ثابتة بمثل له صيغ مختلفة ليس له تأثير كبير على المعنى الشكلي والمعنى المركب. أما التكافؤ على مستوى الإحصائيات فهو بديهي ومنطقي، وقد يؤدي عدم تحقيقه إلى حدوث خلل في الفهم، فعندما يكافئ المترجم مثلاً شائعاً بمثل مهجور وغير متداول، فإنّ فهم المعنى المراد يتعذر على القارئ في اللغة الهدف.

واحترام التكافؤ على مستوى الإيقاع يضمن الحفاظ على القيمة المثلية بامتياز، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المشكل بالنسبة لهذا التكافؤ لا يكمن في إيجاد مثل ذي بنية إيقاعية مماثلة لبنية المثل الأصلي، فالمهم أن تكون للمثل المكافئ بنية إيقاعية تضمن لنا الحفاظ على التأثير، وإنّما يكمن في إيجاد مثل يؤدي المعنى، فقد يهمل المترجم المعنى كليا إن هو أصّر على التركيز على خاصية الإيقاع. أما تحقيق التكافؤ على مستوى المركب فهو يستدعي البحث عن المعاني الدقيقة للأمثال، فقد يكون للمثل المكافئ معن ثانوي، الأمر الذي يحدث خللاً في تسلسل أفكار النص ونقصاً في المعنى المراد أو حتى فقدانه.

وتتجلى إشكالية ترجمة الأمثال بين اللغات التي تنتمي إلى عائلات مختلفة في التكافؤ على مستويي الأسلوب والإجراءات المستعملة، إذ يتمثل العائق الأساسي لتحقيق التكافؤ على مستوى الأسلوب في اختلاف مستويات اللغة بين لغة وأخرى بحسب أنظمتها الخاصة، فمن الصعب أن نؤكد على سبيل المثال، أننا نقابل مثلاً شعبياً جزائرياً بمثل شعبي فرنسي، لأن اللهجة الجزائرية لا تقابلها لهجة واحدة معينة في اللغة الفرنسية، بالإضافة إلى أنّ بيئة المثل الأصلي لا توافق حتماً بيئة المثل في اللغة الهدف، فالأمثال الريفية الجزائرية لا تستعمل بالضرورة الصور نفسها التي تستعملها الأمثال الريفية الفرنسية. وكذلك يشكل احترام التكافؤ على مستوى الإجراءات المستعملة صعوبة لأن هذه الصور لا تستعمل الرموز نفسها بين لغة وأخرى للتعبير عن المعنى ذاته، فهي غالباً ما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة المجتمع الذي نشأت فيه ورؤيته للعالم. وبالتالي لا بد أن يستعمل المترجم التحوير على هذين المستويين.

وعليه فإنّ ترجمة الأمثال تفتح أبواب البحث أمام استراتيجيات أخرى تركز على التوفيق بين الشكل والمعنى، وتأخذ في الوقت نفسه الاختلافات الثقافية والأسلوبية الموجودة بين اللغات التي تنتمي إلى عائلات مختلفة بعين الاعتبار.

قائمة المراجع:

- جعكور، مسعود (2008). حكم وأمثال شعبية جزائرية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

- خلايلي، كمال (1998). *معجم كنوز الأمثال والحكم العربية (النثرية والشعرية)*. الطبعة الأولى. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

- Anscombre, J.C. (2005). Les proverbes : Un figement du deuxième type ?. In *Linx*, 53, 17-33.
- Anscombre, J.C (2009). La traduction des formes sentencieuses : Problèmes et méthodes. In M. Quitout & J. Sevilla Muñoz (Eds.), *Traductologie, proverbes et figements* (pp. 11-35). Paris : L'Harmattan.
- Antoine, F. (2000). Proverbes en traduction : A l'intraduisible, nul n'est résolu. In F. Antoine (Ed.), *L'Intraduisible, Atelier Elextra*, 24, 71-81. Lille : Université Charles-de-Gaulle – Lille 3.
- Ben Cheneb, M. (2013). *Proverbes de l'Algérie et du Maghreb*. Préface de A. Bourayou. Médéa : Flites (Eds.).
- Boutaréne, K. (1982). *Proverbes et dictons populaires Algériens* : بالأمثال يتضح المقال. Alger : Office des Publications Universitaires.
- Kheddouci, R. (2002). *Encyclopédie des proverbes Algériens*. (M. Ferhat Trad.). Alger: Dar El-Hadhara. (Œuvre originale publiée 1996).
- Kheddouci, R. (2015). *Proverbes Algériens* (M. Ferhat & M. Rahmani, Trad.), 2^e édition. Suresnes : Les éditions du net. (Œuvre originale publiée 1996).
- *Le Robert Dictionnaire des proverbes et dictons* (2015). Choisis et présentés par Montreynaud, F., Pierron, A. & Suzzoni, F. 2^e édition. Paris : Le Robert, collection les usuels.
- Newmark, P. (1988). *A Textbook of Translation*. G.B. : Prentice Hall International.
- Schapira, C. (2000). Proverbe, proverbialisation et déproverbialisation. In *Langages*, 34(139), 81-97.